مكانة لسانيات الكلام في فكر سوسير وفقا للمصادر الأصول

Speech linguistics in to Saussure's thought According to Original Sources

كافية بلهوشات[1]*

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)

البريد الإلكتروني: kafiabelhouchet29@gmail.com

مفيدة بن وناس[2]

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)

البريد الإلكتروني: mofida2010@gmail.com

تاريخ الإرسال2022/01/17	تاريخ القبول:2022/03/22	تاريخ النشر:2022/06/10

الملخص:

ظلت نشرة 1916إلى منتصف الخمسينات الوثيقة الوحيدة الموصلة إلى الفكر السوسيري والمصدر الذي حدد نهج اللسانيات الحديثة، إلى أن انبثقت حركة أصبحت تعرف بـ" السوسيرية الجديدة"عمل روادها على كشف التعديلات التي أجراها الناشران في ضوء المصادر الأصول، وكان من أكثر التصورات الحاسمة التي تم إساءة فهمها من قبل بالي وزميله وأثارت احتقان المجامع اللسانية موضوع اللسانيات وثنائية لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، وقد كشفت التحقيقات أن رؤية سوسير كانت شمولية تتقصى الظاهرة اللسانية في جميع أبعادها التصورية، إذا فهو لم يعتبر لسانيات الكلام عنصرا فرعيا ثانويا بل ظل يؤكد على مكانتها ودور الفرد المتكلم وكل ما يتصل بالعملية الكلامية من نظريته، ومن هذا المنطلق نعتزم في هذا المقال دراسة التصور الحقيقي للسانيات الكلام في الفكر السوسيري في ضوء القراءات النقدية الجديدة للمصادر الأصول .

الكلمات المفتاحية:السوسيرية الجديدة؛ دروس في اللسانيات العامة؛ شارل بالي وزميله؛ لسانيات الكلام؛ المصادر الأصول؛ الماهية المزدوجة للغة.

Abstract:

* كافية بلهوشات

The bulletin of 1916 until the mid-fifties remained the only document leading to Saussure's thought, and the path that defined the approach of modern linguistics, until the emergence of a movement that became known as the new Swiss. Its pioneers worked to reveal the modifications made by the two publishers in light of the original sources, and it was one of the most critical perceptions that were misunderstood by Bali and his colleague and provoked congestion in the linguistic councils is the subject of linguistics and the dualism of linguistics of the language and linguistics of speech researches revealed that Saussure's vision was comprehensive, investigating the linguistic phenomenon in all its conceptual dimension, if he did not consider the linguistics of speech as a secondary sub-element, but rather continued to emphasize its position and the role of the individual speaker and everything related to the verbal process from his theory. We tenden in this article to study the real perception of linguistics of speech in the Swiss thought in the light critical reading .new sourcing assets.
Keywords: new Sziss, lessons in general linguistics, Charles Bali and his colleague, linguistics of speech, original sources, the dual essence of language.

مقدمة:

أزيد من قرن ولا تزال أصداء أفكار العالم السويسري فرديناند دي سوسير(Ferdinand de Saussure) (1857م–1913م) الموجه الأساسي للدراسات اللسانية، فمذهبه كان ولا يزال المنبع الدائم لعلوم اللسانيات، وقد استقى منه العديد من المفكرين في تطوير مدارسهم سواء بتوسيع أفكاره وتنميتها، أو نقد مقولاته ومحاولة وضع البديل العلمي لها، وكان كتاب محاضرات في اللسانيات العامة (le cours de linguistique générale) الذي قدمه كل من شارل بالي (Charles Bally)وألبرت سيشيهاي (Sechehaye Albert) بمثابة المرآة العاكسة لفكر سوسير أزيد من نصف قرن، غير أنها كانت مرآة صاغت أفكاره في قالب مغاير لوجهة نظره الحقيقية حول كينونة اللسانيات. ونتيجة للتحوير الفكري الذي أحدثه قلم الناشرين هاجم العديد من اللسانيين قضايا نشرة 1916م وعابوا على سوسير وقوعه في عدة هفوات،وليس من المفروض لمن هو بمنزلته العلمية وعمق فكره أن يقع في مثل هذه الزلات.

غير أن سوسير الأصلي وقف صامتا أمام سوسير المزيف الذي قدمته نشرة 1916م، إلى غاية 1957م حينما قام أحد طلبته وهو "روبرت غودل" (Robert Godel) بنشر المصادر الأصول لدروس المحاضرات، وقام في هذا السياق " رودلف أنغلر" (Rudolf Engler) بوضع طبعته النقدية للمصادر التي اعتمد عليها الناشران في تحقيق نشرة 1916م، وبعدها بفترة تم العثور على المصادر الأصول* أو مخطوطات سوسير في مشتل البرتقال سنة 1996م، ثم توالت بعد ذلك العديد من الأعمال اللسانية التي تروم إعادة قراءة فكر سوسير الأصلي وتأويل تصوراته اللسانية، انطلاقا من المصادر الأصول التي مكنت اللسانيين من الوقوف على فكره الحقيقي، وأثبتت أنه لم يهتم بالقضايا اللسانية فقط بل تجاوز ذلك إلى الحكاية الشعبية، والجناس التصحيفي.

كانت هذه المصادر الأصول الجديدة المكتشفة تعكس بكل أمانة ونزاهة فكره وقد أخرجته بالفعل من صمته وقدمت خدمة جليلة لعلم اللسانيات بتعريفها للمذهب السوسيري الأصلي.

وفي هذا الصدد نسعى لدراسة أهم التصورات اللسانية السوسيرية في ضوء المقارنة مابين نشرة 1916ونشرة 2002 لإقامة مسافة نقدية بين سوسير الأصلي و سوسير غير الأصلي الذي صنعه متن نشرة 1916م، وتم تقديم نظريته ومنهجه اللساني في صورة مغايرة تماما لما أراد لها صاحب المحاضرات، وقد ركزنا على دراسة ملامح لسانيات الكلام في فكر سوسير باعتبارها من أكثر أطروحات النشرة إثارة للجدل إذ شَنت عليها الكثير من الأقلام النقدية هجوما لاذعا، ومن هذا المنطلق نعتزم في هذا المقال في ضوء ما تكشف لنا من مصادر ومنشورات معاصرة دراسة الملامح الجديدة ومكانة لسانيات الكلام في الفكر السوسيري في ضوء القراءات النقدية الجديدة للمصادر الأصول. ولتبيين الطرح أكثر نطرح جملة من الإشكالات، منها:كيف تلقت الأوساط اللسانية نشرة 1916؟وما الأثر الذي أحدثته في مسار اللسانيات؟وما هي الانتقادات التي وجهت لنشرة 1916والاختلالات التي طبعت مشروع الناشرين في ضوء ما تكشف من مخطوطات جديدة ؟وما حقيقة كينونة المفاهيم السوسيرية " اللغة ، اللسان ، الكلام " ؟ كيف كانت ملامح لسانيات الكلام في نشرة 1916 وما الجديد الذي تبين عنها في ضوء المصادر الأصول ؟ و هل العلاقة التي تجمع بين اللسان والكلام علاقة تلاحم وتفاعل أم علاقة انفصال وانقطاع ؟ وما حقيقة مكانة الفرد المتكلم في المتن السوسيري؟

2. الانتقادات التي وجهت لكتاب " محاضرات في اللسانيات العامة"(نشرة 1916م) وظهور المصادر الأصول و(نشرة 2002م) و الإختلالات التي وقع بها الناشران:

1.2الانتقادات التي وجهت لكتاب " محاضرات في اللسانيات العامة " (نشرة 1916م):

اقترنت المعرفة اللسانية التي قدمها سوسير في مطلع القرن التاسع عشر بفكره قرابة نصف قرن، فكان كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، النافذة الوحيدة الموصلة لفكره، وقد باشرت هذه النشرة التي أصبحت في عيون العالم مرادفا لفكره رحلتها في مرحلة استفحلت فيها النزعة المقارنة وأشبعت العقول الفكرية بالمذهب التاريخي، ولم يلق الكتاب في العقود الأولى لنشره المكانة العلمية التي تليق بفكر صاحبه، وفي هذه النقطة يذهب مختار زواوي للإشارة إلى أن تلقي فكر سوسير في الساحة الغربية قد مر بأربع مراحل :مرحلة أولى تشمل العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، ومرحلة ثانية تبدأ بانعقاد المؤتمر العالمي الأول للغويين لعام 1928وتمتد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم تليها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتنتهي ببداية المرحلة الرابعة التي تتزامن مع بداية إخراج مخطوطات سوسير

الأصلية إلى الناس وتحقيقها...ولم تنل المحاضرات القبول الحسن زمن نشرها، ولم يرض جمهور اللغويين آنذاك عن التصورات التي احتواها الكتاب[1] (زواوي، 2017). فكانت المرحلة الأولى من أكثر المراحل انتقادا للنشرة، وكان من أكثر قضايا المتن إثارة للجدل موضوع اللسانيات، والفصل بين الدراسة الآنية و الزمانية، بالإضافة إلى التمييز الحاسم الذي أقرته النشرة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام،لم تتقبل سليقة اللسانيين الكثير من طروحاتها، وهذه الأمور من مكونات الطبيعة البشرية التي ترفض كل خروج أو كسر لما هو معتاد ومُسَّطر.

وكان أول من أعمل فكره في نقد نشرة 1916 حسب التسلسل التاريخي للدارسين في التلقي الفرنسي أنطوان مايي (Antoine Meillet) << آخذ على سوسير إقصاءه للكلام من حقل تحريات اللسانيات، وحصر موضوعها في اللسان (langue) والاستغناء عن باقي الوقائع اللغوية الأخرى، وهو تصور يتنافى في نظره مع ما انفكت تقرره الدراسات الصوتية آنذاك فهذه الأخيرة لا يمكن لها أن تزداد قربا من اللسان إلا من خلال مدارسة دقيقة ممعنة في تفاصيل الكلام >>[2] (زواوي، 2017) .وفي نقده لسطور النشرة يقول:<< ليس من شأننا هاهنا التفصيل في نقد محتوى الكتاب الذي لا يعدو أن يكون مجرد اقتباس لتعليم شفوي عابر، لا نعلم ما إذا كانت تفاصيله التي تعرضت لنقد من تأليف المؤلف أم مصدرها الناشرين >>[3] (زواوي، 2017). فبحكم العلاقة المتينة التي كانت تجمع سوسير بأنطوان مايي كان الأخير طبعا يملك فكرة عن تصورات لسانيات صديقه، ويدرك أيضا التقلبات الجنينية التي كان يتخبط بها، وليس أدل على ذلك من عبارات التردد وعلامات الاستفهام وجمل التعجب التي بصمت مسوداته، فكان أنطوان مايي مدركا في قرارة نفسه أن الكثير من مسائل النشرة لا تعبر بصدق ولا تعكس بأمانة فكر صاحبها، بقدر ما تكشف عن ديناميكية فكرية لقلم الناشرين .

أما إذا نظرنا إلى مركز الدراسات التاريخية المقارنة فإننا سنجد رد الفعل أقوى بكثير، فابن عاصمة برلين والمتشبع بالفكر الفيلولوجي و تلميذ النحاة الجدد يثور على تعاليم أساتذته ويرفض ما تلقاه فكره من عاصمة الدراسات التاريخية المقارنة، ويدعو في نشرته إلى أفول نجم هذه الدراسات واضمحلال سطوتها على الفروع اللسانية، ونتيجة لذلك تلقت نشرة 1916م نقدا قاسيا من الفكر الألماني ، وفي مقدمتهم إيغو شوشار (H.Schuchardt)الذي يعتبر أول من أعد تقريرا عن محتوى النشرة تناول فيه نقدا لثنائيات سوسير، خاصة في قضية تمييزه لسانيات اللسان عن لسانيات الكلام << عاب شوشار على كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة عدم احتوائه على تعريف واضح للسان (langue) ومن ثم فإن تمييزه عن الكلام لا أساس له في حقائق الأمور،بل إن اللغة، في نظره،مرادفة للكلام، ولقد اتسم موقف شوشار من الأفكار اللسانياتية التي احتوى عليها كتاب محاضرات في اللسانيات العامة بالنفور و الازدراء >>[4]

(زواوي، 2017).من خلال هذا الطرح ذهب شوشار (H.Schuchardt) كالعديد من جمهور اللسانيين إلى صعوبة التسليم بالعزل الصارم بين لسانيات الكلام ولسانيات اللسان.

لقد دققت أقلام فكرية كثيرة في مسألة التمييز بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام وإقصاء الأخيرة من مجال البحث اللساني، وتعد هذه القضية من أكثر نظريات النشرة إثارة للقرائح النقدية والمسيلة أيضا للمداد القاسي في حق المتن السوسيري، فرغم الثورة العلمية التي أحدثتها نشرة 1916 على دستور الدرس اللساني، إلا أن ذلك التناقض الصارخ بين فقراتها والإقصاء الذي اقترف في حق مصطلح الكلام حال دون إعطاء لسانيات الكلام المكانة العلمية التي تستحقها في الخريطة المعرفية لعلم اللسانيات .

2.2 ظهور المصادر الأصول :

بقيت نشرة 1916 لفترة طويلة الوثيقة الوحيدة الموصلة إلى الفكر السوسيري، والموجه الأساسي للتيار البنيوي الصارم << ويبدو أن سلطة شارل بالي المعرفية وعلاقته الشخصية بسوسير ومكانته العلمية في الأوساط الجامعية الأوروبية وعلاقاته بكبار لسانيي الحقبة تحكمت إلى حد كبير في رسم مسار الكتاب المنسوب إلى سوسير قبل نشره وبعده .لقد استطاع بالي أن يبعد الكتاب عن أي مقاربة نقدية تروم تحقيق فقراته، وتبحث في تدقيق طبيعة علاقته بالمصادر المخطوطة،ولم يقم بالي بأدنى جهد من أجل توضيح نشرة 1916 لدروس سوسير في اللسانيات، وينير ما غمض فيها >>[5] (غلفان، 2018). وقد اعترف الناشران في مقدمة النشرة بإعمال فكرهما في تحرير فقراتها؛ إذا فالنشرة ما هي إلا تأويل عن تأويل مجرد لتصورات سوسير اللسانية، ففكره مر أولا بأذهان المستمعين الذين تفاوتت مستوياتهم الإدراكية في تأويل وتحرير ما يلقى على أسماعهم، ثم تلى هذه العملية تأويل الناشران لسطور هذه المتون. ومن خلال ما سبق كيف يمكننا أن نقبض على فكر سوسير في ظل هذه المعمعة الفكرية، ووسط هذه الضبابية التي صنعت النشرة ؟

تأتي بشائر الفرج مع رواد المرحلة الثانية، فقد بزغ نجم هذه المرحلة مع << روبرت غودل حينما نشر في منتصف الخمسينيات وتحديدا سنة 1954م نصوصا تضمنت مجموعة جديدة من المخطوطات في اللسانيات التي كتبها سوسير نفسه ونشر غودل بعد ذلك نصا لسوسير يتعلق بمقدمة العام الثاني (1908-1909) وبعد صدور مؤلف غودل (المصادر المخطوطة لدروس في اللسانيات العامة) سنة 1957م، بداية هذه المرحلة >>[6] (يحي، 2019) ويعتبر ما ميز عمله المعرفي الذي أعاد تمثيل المتن السوسيري انتهاجه خطة استقرائية تروم الدقة والأمانة العلمية البحتة في رسم ملامح المتن السوسيري الحقيقي.

وقد كانت هذه الأطروحة دافعا لرودلف أنغلر (Rudolf Engler) لوضع طبعته النقدية التي كان يهدف من خلالها لإعادة قراءة النشرة في سياق ما جد على الساحة اللسانية من اكتشافات جديدة، وقد نجحت طبعة أنغلر (Engler) النقدية في إثبات وقائع جناية بالي(Bally) و زميله على فكر أستاذهما << وجاءت طبعة أنغلر في صفحتين متقابلتين مشطورة إلى ستة أعمدة،يعيدُ أولها نشرة بالي وتعرض الأعمدة الثانية والثالثة والرابعة فقرات المصادر المخطوطة التي اعتمدها الناشران،بينما يقدم العمودان الخامس والسادس فقرات نصية كانت مجهولة إبان صدور طبعة 1916>>[7] (غلفان، 2018)

وبعد هذين العملين الرائدين ظهرت العديد من الدراسات التي تسعى إلى إقامة تحقيقات جوهرية في لسانيات سوسير وتهدف إلى تكسير الإطار الكلاسيكي الذي اختزل فكره.

وفي ظل هذه الجهود التي تروم إلى إعادة تمثيل فكر الأستاذ الحقيقي وجدت << في عام 1996وكهبة من السماء حزمات من المدونات الراقدة في دفيئة البرتقال في قصر عائلة دوسوسور في جينيف خلال بعض الأشغال، وكم كانت دهشة المكتشفين كبيرة، ثمانون عاما تقريبا بعد وفاة دوسوسور وقد جعل كل من سيمون بوكيه و رودلف أنغلر هذه الملاحظات سهلة المنال في عام 2002م>>[8] (دوبيكير، 2015).وقد بينت هذه الجهود المبذولة أن النشرة اشتملت على تصورات لا تتوافق مع ما طرحه سوسير من لبنات فكرية في سياق محاوراته ونقاشاته سواء مع طلبته أو زملائه في كرسي اللسانيات، وهذا ما توضحه كتاباته التي لم تشهد النور إلا حديثا.

3.2 الاختلالات التي وقع بها الناشران :

كشفت تحقيقات أنغلر(Engler)أن كل ركن من ثنايا نصوص نشرة 1916 مسكون بالشك، وأن كل ما كنا مقتنعين بأنه من بديهيات الفكر السوسيري ما هو في الحقيقة إلا سراب ، فأبانت البحوث عن فشل شارل بالي و ألبيرت سيشيهاي في بيان فكر سوسير، وبفضل الجهود التي بذلها أنغلر(Engler) لإعادة تحقيق النشرة في سياق ما استجد على الساحة اللسانية، تم الكشف عن اللبنات الفكرية التي أضافتها الأيدي الخفية للبناء السوسيري والتي تتمثل في :[9] (غلفان، 2018)

أ- تغيير الترتيب الأصلي لموضوعات الدروس:

لعل أول عتبات انتحال الناشران تبدأ << من صياغة الفهرسة وهو ما يعري بوضوح تلك التخمينات.فبعد مقدمة عامة أبعد ما تكون عن التقديم الحقيقي، ينتقل الكاتب إلى " المبادئ العامة " المتمركزة حول العلامة، لينقلنا الفهرس فيما بعد إلى فصول طويلة حول اللسانيات التطورية،لقد بدا في

ضوء هذه الفهرسة بوضوح تردد المحررين بين إتباع الترتيب الكرونولوجي والترتيب المنطقي للموضوعات >>.[10] (فهيم شيباني، 2018) يتضح مما سبق أن الناشرين كانا متذبذبين بين الالتزام بالتسلسل الزمني وفق المنظور السوسيري الذي التزم به في دروسه لغاية يتوخى من خلالها تبلور اللسانيات العامة في أذهان مستمعيه على شاكلة معينة، ووفقا للتطور الفكري الذي كان يعيشه و يتجسد في نصوص محاضراته، وبين توجههما الذي أدى إلى خلط المحاضرات وحجب الكثير من أسرار متنه.

ب- إضافات الناشرين :

لعل أكبر جريمة اقترفتها أقلام الناشرين في حق أستاذهما خاصة، وفي حق الدراسات اللسانية عامة العبارة التي توجا بها عملهما وأصبحت صدى حروفها تتردد في كل المحافل العلمية اللسانية كمرادف وعاكس حقيقي لتوجه سوسير الصارم << إن موضوع اللسانيات الحقيقي هو اللسان في ذاته ولذاته >>[11] (زواوي، 2017). هذه العبارة التي جسدت سوسير الصارم الذي وضع اللسانيات في برجها العاجي منعزلة عن كل السياقات الخارجية ومتقوقعة على لبنات نسقها فقط، لتكشف لنا الأقلام الفكرية المحققة للمصادر الأصول أن هذه أكبر أكاذيب النشرة << وهي العبارة التي يمكن الجزم بأنها من وضعهما إذ ليس في المصادر الأصول لدروس في اللسانيات أو في غيرها ما يسمح بالقول بأن الأستاذ عبر بهذه الصيغة أو بأخرى، ويؤكد بوكيه أن الجملة كانت رائجة لا عند فرانز بوب فقط،وإنما سنة 1883 عند مؤلفين معاصرين لسوسير في صيغة قريبة جدا:إن اللسانيات تدرس الألسن في ذاتها ولذاتها >>[12] (غلفان، 2018). كما أنها حددت مسارات تشكيل اللسانيات الحديثة ردحا من الزمن، وهكذا تحكمت هذه الإضافات في توجيه تأويلات تصورات سوسير في اتجاه مخالف لسليقة أفكاره .

قدمت لنا متون النشرة منظومة فكرية لملامح لساني صارم إزاء المادة اللسانية، إلا أن المصادر الأصول أزالت هذا الغبار الذي أحدثه فكر سوسير المحاضرات وأعادت نقش ملامح ذلك اللساني المتردد من تحرير رسالة علمية، ذلك اللساني الذي يتجرع كأس القلق والتساؤل المستمر حول المادة الزئبقية التي هي اللسان، ذلك اللساني الذي كان يعاني طوال رحلته الفكرية زوبعة مرضية أقضعت مضجعه وأَرَّقت مداده .

لكن رغم وابل الانتقادات التي وجهت لأستاذ مدرسة جنيف بسبب تصرف حبر الناشرين في العديد من أجزاء النشرة، إلا أنه لا يمكن بحال من الأحوال إنكار فضلهما في إخراج هذا الكنز اللساني من كراسات الطلبة إلى النور، كما أنهما أعلنا في مقدمة النشرة تحملهما المسؤولية الكاملة أمام النقاد، ولا بد لمن أراد

الاهتداء إلى الفكر السوسيري أن يتلقى نشرة 1916في ضوء المصادر الأصول ليعرف ما هو من حبر سوسير و ما هو من أثر تعديلات الناشرين.

3. حقيقة موضوع اللسانيات وثنائية : لسان /كلام " عند سوسير في ضوء المصادر الأصول:

1.3مفهوم اللغة اللسان الكلام :

إن عدم ضبط حدود حاسمة لموضوع اللسانيات هو الخيط الذي أرشد سوسير إلى تحديد موضوع ملموس وكامل للظاهرة اللسانية، يقوم على ثلاثة مفاهيم مركزية وهي " اللغة، اللسان، الكلام"، هذه المفاهيم التي تعتبر المفاتيح لكل باحث لساني يروم فهم النسق التصوري الجديد الذي جاءت به المنظومة المفاهيمية للمتن السوسيري، ونحن نسعى لمعالجة هذه المفاهيم في ضوء ما تكشَّف لنا من المصادر الأصول والمنشورات المعاصرة، وقبل التعرض لها نشير إلى مصطلح أساسي سيجنبنا الكثير من السجال حول المتن السوسير وهو مصطلح " الازدواجية "الذي شكّل اللحمة المفاهيمية لبنائه، وتعني << أن الظاهرة اللغوية أو الحدث اللغوي أيا كانت طبيعته وحجمه، حصيلة تضاد وتقابل بين شيئين يجب على التحليل أن يميز بينهما، وأن يبرز حركة التناقض الداخلي الحاضرة بينهما على الدوام دون أن تسند لأحدهما أية أولوية، ولا يوجد أحد أطراف الازدواجية إلا بالآخر ولا يستقيم إلا به؛ بل إنه لا معنى لأحدهما إلا في ضوء الآخر،وحين ندرس جانبا منهما أو نستحضره يتعين أن لا يغيب عن الذهن الجانب الغائب؛ أي أن اختيار هذا الجانب لا يجب أن يحجب حضور الجانب الآخر >>[13] (غلفان، 2017).و على العكس مما تشيعه الأدبيات اللسانية لم يرد سوسير من ثنائياته الشهيرة أن تكون مجرد مفاهيم منغلقة على ذاتها، منعزلة في برجها العاجي مستقلة في ماهيتها، متناقضة في بناءها، بل كانت رؤيته شمولية تتقصى الظاهرة اللسانية في جميع أبعادها التصورية .

إن سوسير في تقسيمه لمصطلحات الدرس اللساني " لغة، لسان، كلام " أراد الوقوف على حدود نظرية لماهية كل مفهوم بغية الإمساك بخيط يهتدي من خلاله إلى تحديد موضوع اللسانيات، وليس كما شاع في الأدبيات الإبستومولوجية من أنه قام من خلال هذه التقسيمات المجحفة ببناء أسوار وهمية بين مفاهيم لا تنفك تتشابك و تتعالق في المنظومة اللسانية، فالعالم اللساني الفذ المعروف بفطنته وتحليله العميق لظواهر الأشياء كان مدركا جيدا لهذه الأمور البديهية، ولم يرد بتقسيماته إعطاء أولوية وأهمية لعنصر على حساب الآخر، أو تهميش وتقليل لمكون على حساب الآخر، بل أراد نورا يؤسس على هداه علم اللسانيات .

أ– مفهوم اللغة :

انطلق سوسير في بناء مفهوم اللغة من رفض طروحات معاصريه والتي تذهب إلى أن اللغة علامة مميزة للجنس البشري، واللغة حسبه تتبلور و تتمظهر دائما في مستوى آخر، إنها تتجسد عند الإنسان متمفصلة في أحداث لغوية مادية ملموسة تتمثل في ألسن خاصة.ولذلك فإن وصف السلوك اللغوي ومعالجته من الناحية العلمية غير ممكن إلا من جانب الألسن الخاصة إذ لا وجود لآثار اللغة إلا بألسن محددة .[14] (مصطفى، 2017) فاللغة كرقعة أساسية في المنظومة اللسانية قدرة فطرية مغروسة في المنظومة البشرية، لا يمكن الولوج إلى كينونتها أو القبض على هندسة تشكلاتها إلا عن طريق اللسان الذي يعتبر الجسر الذي ينقلها من تجرداتها لتصبح من خلاله وسيلة اجتماعية تحقق التواصل عن طريق أفراد، وعليه يمكننا القول أن الملكة اللغوية تستقي مظاهر تجلياتها من دراسة الألسنة المتكلم بها، كما أن اللسان وهو المفهوم التجريدي للألسنة لا يمكن أن يحدث دون اللغة، فهو لا يعدو إلا أن يكون ممارسة فعلية لهذه الملكة .

ب-مفهوم اللسان :

ينطلق سوسير في بناء أرضية صلبة لمفهوم اللسان من خلال فكرة النسق << كل لسان نسق قائم على اتحاد صورة سمعية وتصور خاص بكل مجتمع على حدة، نقول" اللسان العربي " أو " اللسان الفرنسي " أو" اللسان الألماني " الخ .واللسان بهذا المعنى مجموعة من العلامات العرفية والاصطلاحية التي يتم التوافق عليها ليستعملها أفراد المجتمع لتلبية حاجاتهم اليومية العامة والخاصة.إن اللسان مؤسسة اجتماعية >>[15] (غلفان، 2017) ومن هذا المنطلق فهو المفهوم الأنسب لأن يكون موضوعا للسانيات، أما اللغة لا يمكنها أن تضطلع بهذه المهمة وذلك راجع لتعدد جوانبها وعدم تجانسها فهي تشتمل على عدة جوانب في آن واحد كالجانب الفيزيائي والجانب الفزيولوجي والجانب النفسي، كما أن اللغة مجال مشترك بين ما هو فردي و ما هو اجتماعي، أما اللسان فيمتاز بنسق نظامه المتجانس يتكون من أنظمة صغرى تربطها علاقات تأثر وتأثير متبادلة، يضع بين يدي الدارس اللساني المادة التي تمكنه من الاستقلال بعلم اللسانيات عن شعاب العلوم الإنسانية .

جـ-مفهوم الكلام:

بعد أن قدم سوسير الحدود الفاصلة بين مفهوم اللسان واللغة، ينتقل لرسم الحدود الفاصلة التي تميز موضوع الدرس اللساني عن التأدية الفعلية ألا وهو " الكلام"، فإذا كان اللسان مجموعة من القوانين النسقية المتواضع عليها يمتلكها كل متكلم مستمع مثالي ينتمي إلى مجتمع متجانس، فإن الكلام في أبسط صوره التطبيق الفردي للوحدات المجردة لما هو موجود بالقوة في أذهان المتكلمين، يقول<< يقصد بالكلام

فعل الفرد الذي يحقق ملكته اللغوية بواسطة المواضعة الاجتماعية التي هي اللسان.والكلام إنجاز لما تسمح به المواضعة الاجتماعية>>[16] (غلفان، 2017)

أراد سوسير من هذا الطرح النفاذ إلى أغوار الظاهرة اللسانية، ووضع نسق تصوري جديد، يعيد تصحيح الهندسة المفاهيمية التي كانت شائعة في الأدبيات اللسانية، وذلك بوضعه منظومة عامة تتأسس على الترابط المفهومي أولا وقبل أي شيء، وعليه فإن السراب الذي كانت من نتيجته أن هاجمت التيارات اللسانية طرح سوسير و اتهمته بإقصاء لسانيات الكلام من مشروعه المعرفي، خطأ نجم عن اجتهاد لشارل بالي(Bally) وزميله في تأويل مقاصد الأستاذ.

2.3اللسان والكلام :

من المبادئ الثابتة في نشرة 1916م هو الفصل بين ثنائية لسانيات اللسان ولسانيات الكلام وإخراج الأخيرة من دائرة اهتمام الفكر السوسيري، غير أن هذه الفكرة ما تلبث أن تتزعزع في مواضع كثيرة من متن هذه النشرة، فيبدو للوهلة الأولى أن سوسير متناقض مع نفسه في تشييده لمبادئ مشروعه اللساني، فهو لا يلبث بأن يقوم بطرح قضية وهدمها في موضع آخر، غير أن هذا القصور في وجهة النظر يعود لتدخل فكر الناشرين، وسنتطرق من خلال هذا العنصر لإثبات الاختلالات التي وقع فيها الناشران في تحرير متون المحاضرات خاصة في مقام " لسانيات اللسان ولسانيات الكلام "وذلك في ضوء ما تكشَّف لنا من المصادر الأصول والمنشورات المعاصرة.

جاء موقع لسانيات الكلام في النص السوسيري في الفصل الرابع معنوانا بـ : "لسانيات اللسان ولسانيات الكلام "، هذا الفصل الذي لا يخلو من التناقض الصارخ بين فقراته، ففي ختام هذا الفصل يقصي بالي (Bally) وزميله لسانيات الكلام من رحم هذا العلم، فهي ثانوية بالنسبة للملكة اللسانية قائمة على عنصر الاختيار لدى الفاعل المتكلم، وهو مالا يمكن التنبؤ به ومالا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته[17] (دي سوسور، 1985) فأهمل نتيجة لذلك سوسير لسانيات الكلام حسب متن المحاضرات لأن مادة الأخيرة زئبقية لا يمكن للساني أن يمسك بكينونتها لأنها رهينة نشاط المتكلم و وقتيه .

لكن هذا الطرح يناقض نفسه في هذا الفصل وفي كثير من متون النشرة، يقول سوسير المحاضرات << إذن فدراسة اللغة تتكون من جانبين الجانب الأساسي وهو الذي هدفه اللسان...والجانب الفرعي (الثانوي وهدفه الجزء الفردي) >>[18] (دي سوسور، 1985). فاللغة وهي أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها الدرس اللساني عند سوسير في جوهرها تتكون من قسمين هما اللسان الذي وصفه الناشران

بالجانب الأساسي منها في مقابل القسم الآخر وهو الكلام الذي يمثل الجانب الفرعي، ومن هنا نتساءل على أي أساس تمت هذه التسمية والتقسيم المجحف؟ هل هي من وضع سوسير أو بتصرف أقلام الناشرين ؟.

يثبت تناقض الفقرات فيما بينها أن سوء الفهم هذا كان من خطأ الناشرين وأوقعا فكر أستاذهما فيه، فكما لا يمكن وصف ركني العلامة اللسانية وهما الدال والمدلول بالأساسي والثانوي فكل منهما يكمل الثاني ويحتاج الثاني في تحقيقه وتشكيل هوية العلامة اللسانية، الأمر نفسه ينطبق على اللغة التي تتحدد ملامح هويتها من خلال اتحاد الجانب الفردي بالجانب الاجتماعي .

وفي نفس الفصل نجد هذه المقولة << فاللسان ضروري إذا أريد للكلام أن يكون مفهومه يحقق الغاية المتوخاة منه، ثم إن الكلام ضروري لتثبيت أركان اللسان، والكلام يأتي أولا من الناحية التاريخية ...وأخيرا يكون الكلام هو السبب في تطوير اللسان، فاللسان والكلام إذن يعتمد أحدهما على الآخر.>>[19] (دي سوسور، 1985) تؤكد كلمات هذا المتن أنه لا يمكن الفصل عمليا بينهما، بالإضافة إلى أن لسانيات اللسان وهي صرح هذا العلم لا تترسخ في وعي الجماعة اللسانية إلا من خلال لسانيات الكلام، كما أن الأخيرة أسبق تاريخيا من لسانيات اللسان، وكل ما يطرأ عليها من تغيرات يكون بفعل لسانيات الكلام بالإضافة إلى أنها تقدم للدارس اللساني التعليلات المنطقية في تطور وتغير الألسنة.كما يثبت هذا المتن مكانة لسانيات الكلام وافتراء الناشرين على فكر أستاذهما.

ولنأخذ فقرة أخرى ترسخ من مكانة الكلام، ففي في معرض حديث سوسير عن العلاقة التركيبية يؤكد على فكرة مؤداها أنه << لا وجود في ميدان السياق لحد فاصل فصلا مطلقا بين الحدث المنتمي إلى اللسان الذي هو علامة من علامات الاستعمال الجماعي، والحدث المنتمي للكلام الخاضع لحرية الفرد ويعسر علينا في عدد كبير من الحالات أن ندرج توليفة ما من الوحدات في هذا الصنف أو ذاك، وذلك لأن كلا العاملين الجماعي والفردي قد ساهما في إنشائهما مساهمة تستحيل تحديد نسبتها >>[20] (دي سوسير، 1985).

إن لسانيات اللسان لا تتجسد إلا من خلال لسانيات الكلام، كما أن عملية الكلام قائمة على وعي المتكلم بالنظام اللساني، وتظهر في هذه العملية البصمة الفردية لكل ناشط متكلم من خلال طريقة كل فرد في تركيب الوحدات الخطابية، ويمكن تشبيه العلاقة التي تجمع ما هو فردي بما هو جماعي، بعلاقة الفنان بأدواته سواء أكان رساما أو نحاتا أو موسيقارا....الخ فكل مبدع يمتلك نفس الأدوات ويخضع لنفس منهاج التعليم غير أن المسحة الفردية التي تظهر في العمل الفني تختلف من حيث الجودة والجمال من

مبدع إلى آخر، فكل فنان يعمل على إضافة لمسة شخصية من الإبداع في عمله، وتتجسد هذه العملية بصورة أوضح في الأعمال الأدبية عامة والشعرية خاصة، وهذا لا ينفي الميزة عن الفرد المتكلم، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن كل مستعمل للسان معين يميل إلى إبراز شخصيته من خلال استعمال ألفاظه في سياقات جديدة سواء في طريقة النطق أو الأداء أو في طريقة نسج العناصر الوظيفية.

وفي مقدمة الناشرين تستوقفنا هذه العبارة التي تثبت بوضوح التناقض بين مقدمتهما والفصل الرابع من متون النشرة << من المؤسف أن الدروس تخلو من " علم لغة الكلام "، إن هذه الدراسة التي وعد بها الأستاذ تلاميذه في العام الدراسي الثالث كانت ستحتل منزلة الصدارة ، بيد أننا نعرف جيدا لماذا لم يتحقق الوعد، إن كل ما استطعنا أن نفعله في هذا الموضوع، هو جمع الانطباعات العرضية من الملاحظات العامة للمشروع ووضعها في موضعها الطبيعي >>[21] (دي سوسور، 1985)إذا فسوسير كان يتوخى تأسيس مشروع لساني في لسانيات الكلام يوازي صرح لسانيات اللسان، لكن كيف لم يتبادر إلى ذهن الناشرين أهمية ودور هذا العلم الذي سيحتل الصدارة في دروس أستاذ جنيف؟وهما يقومان بتهميشه من صفحات النشرة و استبعاده من الساحة اللسانية السوسيرية، مع أن فصول النشرة شحنت بالانطباعات العرضية لهذا المشروع، ويبدو أن فكر الناشرين تشتت في المقارنة بين كراسات الطلبة و إعادة صياغة تركيب أفكار النشرة .

وقدم لنا في هذا السياق ميشال أريفيه (Michel Arrivé) قراءة جديدة لعنوان هذا الفصل يذهب فيها إلى أن << تركيب لسانيات اللسان هو تحصيل حاصل، لأنه يعيد الحديث بلا فائدة عن الموضوع الذي نسبه بوضوح قبل قليل إلى اللسانيات، وبالعكس إن تركيب " لسانيات الكلام "هو تركيب تسمياتي ينسب إلى اللسانيات موضوع قيل قبل قليل أنه مستحيل >>[22] (أريفيه، 2000). فهل من ضروب المنطق أن يخصص الناشران فصلا في نشرة المحاضرات ليؤكدا على إقصائهما لهذا الفرع الثانوي من الدرس اللساني ؟ كان يكفي أن يطرحا هذا التصور دون أن يخصصا له بابا مستقلا في نشرة المحاضرات، كما أنهما سبق أن تحدثا عن لسانيات الكلام في الفصل الثالث في سياق طرحهما لمفاهيم: اللغة، اللسان، الكلام، فكان الأقرب إلى سياج المنطق والعقلانية أن يشير الناشران لثانوية لسانيات الكلام بالنسبة للحقل اللساني، لا أن يخصصا فصلا يجترا فيه الحديث عن لسانيات اللسان ويهمشا فيه لسانيات الكلام .

وإذا كان أستاذ اللسانيات الحديثة لا يعتبر لسانيات الكلام جزءا مهما من أبواب هذا العلم، لماذا أطلق عليها لفظة لسانيات الكلام؟ونحن نعلم أن هذا المصطلح إذا قرن بالكلام فهو يعطيه الشرعية والأهمية التي أعطاها للسانيات اللسان، فمصطلح اللسانيات يحمل في رحمه معنى المنهجية النظرية التي تضفي

على المصطلح الذي يقرن به صفة العلمية والحق في الوجود، فلم يولف سوسير بين اللسانيات والكلام من باب الاعتباطية أو العشوائية بل لإدراكه التام ويقينه المطلق من مكانة لسانيات الكلام من درسه اللساني.

من خلال ما سبق تتضح بجلاء مكانة وأهمية لسانيات الكلام بالنسبة لحقل اللسانيات في نشرة1916م، فبالتدقيق في أبواب الفصول والمفاهيم المطروحة يتضح لنا دون الاتكاء على المصادر الأصول بأن سوسير لم يهمل صرح لسانيات الكلام من علمه، فقد كان على يقين بالعلاقة التلازمية التي تجمع بين أواصر لسانيات اللسان ولسانيات الكلام والدور الذي يضطلع به الأخير في العملية التواصلية.

وتحمل لنا متون المصادر الأصول التصور الأصلي لفكر سوسير والمنزلة التي وضع فيها لسانيات الكلام من رقعة تصوراته؛ حيث يرى بأن اللسان يشكل الدائرة الأكثر فردية، فاللسان خزان فردي وكل ما يلج اللسان أي رؤوسنا فهو فردي.[23] (غلفان، 2017)حسب هذا الطرح فإن هوية لسانيات اللسان فردية في جذورها فهي تتجسد من خلال كينونة الأفراد. وقد أشرنا فيما سبق إلى أن العبارة التي اعتبرت حقيقة أساسية في اللسانيات السوسيرية ما هي إلى سراب من صنع الناشران، فالحقيقة المزيفة الأصل، والتي تصرح بأنه اهتم بكل ما يتعلق بالنسق اللساني المجرد وأهمل كل ما مد من قريب أو بعيد بلسانيات الكلام ما هي في الحقيقة إلى كذبة من أكاذيب نشرة 1916، بل من أكثر الأكاذيب إثارة للجدل، وكان المقابل الحقيقي للجملة المنحوتة << إن اللسان هو موضوع اللسانيات في ذاته ولذاته وهو موضوعها الوحيد والحقيقي >>[24] (زواوي، 2017) ما دونه قسطنطين(John Joseph)<<" يمكننا أن نقول بأننا باختيار اللسان كمركز ونقطة انطلاق "، وكتب جوزيف : " حين نعتبر اللسان شيئا أوليا فنحن ننطلق منه كأفضل أرضية للوصول إلى عناصر اللغة الأخرى >>[25] (غلفان، 2018). صحيح أن هنالك اختلافا في صياغة كل من قسطنطين (Emile Constantin)وجوزيف (John Joseph) لمقولة سوسير في هذه النقطة، غير أن سياقهما يدور في نفس الفكرة وهي اتخاذ اللسان كوحدة مفهومية تسعى نحو التأسيس لعلم اللسانيات.

ومن المتون المحققة التي تثبت عدم تهميش دروس المحاضرات الأصلية لدور لسانيات الكلام هذه الفكرة التي سجلها أحد الطلبة << يجب أن يكون لدينا لسانيات اللسان ولسانيات الكلام >>[26] (غلفان، 2017). أما الناشرين فقد وضعا نفس المصطلحات الأساسية في سياق مخالف جرف بمقاصد المتن السوسيري إلى طريق مغاير << يمكن بشيء من التسامح أن نطلق اسم اللسان على كل من هذين المجالين ونتكلم عن " لسانيات الكلام "، ولكن لا يجب أن نخلطها باللسانيات بالمعنى الدقيق للكلمة؛ أي

تلك التي يكون اللسان موضوعها الوحيد >>[27] (غلفان، 2017). من الواضح التضاد الصارخ بين مفهوم الفكرتين، فبينما تؤكد المقولة الأولى وجود لسانيتين في الدرس اللساني السوسيري، تهدم المقولة الثانية هذا التصور وتؤكد أن الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيات هو لسانيات اللسان .

لقد أسهمت المصادر الأصول في إضاءة قضايا نشرة 1916، ومكنت اللسانيين من إعادة رسم القالب النسقي والبناء النظري للفكر السوسيري وأوضحت لنا ملامح لسانيات الكلام من مشروعه اللساني، فهو ما توانى عن التصريح بقيمتها ودورها المحوري في تدويناته.

4. عوامل إقصاء لسانيات الكلام ومكانة الفرد المتكلم في الفكر السوسيري في ضوء المصادر الأصول

1.4معاني الكلام :

ذهب الفرنسي ميشال أريفيه (Michel Arrivé) في كتابه " البحث عن فرديناند دي سوسير "إلى تعليل التراتبية التي أقامها بالي (Bally) وزميله في حفريات المتن السوسيري بقوله :<< هل أبالغ في الاستطراد عن موضوعي – سوسير– عندما أتساءل عن دوافع الناشرين عندما أعطيا، وهما عالمان كل العلم بالسبب لهذا الاحتراز بخصوص الكلام قوة أكثر مما أراده سوسير؟ويمكننا أن نترك لأنفسنا العنان لنرى في ذلك الأسف الذي ربما كان مختلطا بالغيظ لدى شارل بالي على وجه الخصوص – بالي– الذي سيُكون في كتابه المستقبلي لسانيات عامة ولسانيات فرنسية صاحب " النظرية العامة للمنطوق "، وغيظه لأنه لم يستطع أن يحقق في الدروس البرنامج الذي أعلن بخصوص لسانيات الكلام >>[28] (أريفيه، 2000).لم يكن شارل بالي(Bally) راضيا عن كل هذه الصبغة الذهنية المجردة التي كما توهم منحها سوسير للسانيات اللسان، فعمل على تأسيس مشروع الأسلوبية التعبيرية، وسعى من خلالها إلى تشييد لسانيات الكلام لتكون في صرحها العلمي موازية للسانيات العامة، فركز على الكلام في أسلوبيته باعتباره السبيل السليم لدراسة اللسان العامي على سجيته دون أي جدران للمعيارية أو ضبابية للتصنع.

كما أن تعدد المعاني الاصطلاحية التي حملها مصطلح لسانيات الكلام أدى إلى سوء فهم من قبل الناشرين،و كان هذا دافعا رئيسيا لتهميشه وإقصائه من المشروع اللساني، ومن أهم المعاني التي وضع بإزائها في متن النشرة[29] (أريفيه، 2000):

لقد استخدم مصطلح لسانيات الكلام بكثرة في متن النشرة متضمنا لمفهوم التصويت، فالعملية الصوتية كما جاء تقع خارج كيان لسانيات اللسان، فهي لا تؤثر في النظام اللساني الموجود بفعل القوة، فحصرت النشرة بذلك مفهوم لسانيات الكلام في العملية الصوتية الفزيولوجية التي لا تركز إلا على دور جهاز

النطق في إنتاج المادة الخام التي تحتاجها الجماعات اللسانية لتحقيق التفاهم والتواصل فيما بينها. لكن هذا لا يعني إطلاقا أن الكلام بالمعنى السوسيري يقتصر على مجرد التأدية السلبية كما فهمه البعض، وإنما يعني كذلك الآلية النفسية البيولوجية التي تسمح بتحصيله، والمتمثلة في الإدراك وحفظ الذاكرة للصور السمعية وكذلك من حيث النشاط العصبي المعقد الذي يصاحب عملية التلفظ[30] (جيلي، 2015).

أما الاستخدام الثاني لمصطلح لسانيات الكلام فقد جاء بمعنى << الفعل الواعي والمدرك لتسلسل الوحدات في تسلسلية متحققة واقعيا >>[31] (أريفيه، 2000). وهو باختصار مرادف لمصطلح التركيب، فهو عبارة عن عملية انتقائية للوحدات الوظيفية الموجودة بفعل القوة في المخزون الذهني لكل متكلم ومستمع، تتجسد من خلال توليف العناصر الخطابية في السلسلة الكلامية، تقوم على نشاط الذات المتكلمة للعناصر اللسانية حسب السياق ومتطلبات الموقف، إلا أن عملية التركيب لا تمثل إلا جزءا من آليات لسانيات الكلام، صحيح أنها تتجسد من خلاله، لكن هذا لا يعني أنها مقابل مفهومي لها.

أما المفهوم الأخير الذي يحمله مصطلح الكلام فهو القيمتين اللتين ميزنا بينهما قبل قليل، بمعنى التغيير الصوتي والتغيير القياسي؛ حيث << يخضع الأول للجانب الفزيولوجي والفيزيائي في الكلام بينما يتعلق الثاني بالجانب النفسي والذهني في الفعل ذاته، الفعل الأول فعل لا واع، بينما الثاني فعل واع>>[32] (غلفان، 2017). أصله الفرد المتكلم الذي يعمل على خلق وتطوير عناصر النظام.

2.4 الفرد المتكلم :

صور لنا متن المحاضرات الذي قدمه بالي(Bally) وزميله للساحة اللسانية الفرد المتكلم على أنه عنصر غير فعال في هذا المضمار، فهو يعيد اجترار ما هو موجود في ذهنه بطريقة آلية، فسلب المتن السوسيري الروح الإبداعية واللمسة الشخصية التي تضفيها الذات المتكلمة على الملكة اللسانية والعملية التواصلية << ليس اللسان وظيفة من وظائف المتكلم، بل هو نتاج يتقبله ويسجله دون أن يقوم بأي نشاط، وليس له فيه البته أي سابق إضمار، بل ليس لتفكيره فيه من نشاط سوى نشاط الترتيب >>[33] (دي سوسير، 1985). رسم الناشران في نشرة 1916م الفرد المتكلم على أنه منتج سالب في هذه الحلقة التواصلية، إلا أنهما تناسيا أن الذات المتكلمة هي التي تخرج الملكة اللسانية من كونها مجموعة من الصيغ المجردة والثابتة في الوعاء الذهني إلى الوجود الفعلي من خلال الاستعمال، فكل نفس متكلمة تنفخ لونا من ألوان الحياة في الكيان اللساني، وسنجد أن هذه الفكرة المجحفة تحطم كيانها في باب القياس.

ويذهب مختار زواوي إلى القول بأنه من المفارقة العجيبة أن الناشران عندما يحاولان التعبير عن فكر سوسير في التمييز بين البحث الآني والبحث التاريخي يلجآن إلى الفرد المتكلم، وهذه المرة من حيث كونه فردا فاعلا غير مسلوب الإرادة كما في علاقته مع اللسان، فلا سبيل حسب متن المحاضرات إلى إدراك حقائق النظام اللساني إلا من خلال الدراسة الآنية التي تمثل الصورة الحقيقية للاستعمال اللساني لدى الأفراد المتكلمين، أما الدراسة الزمانية التي تهتم بتطور الوحدات عبر المسار الزمني فلا وجود لها لدى الفاعل المتكلم << إن أول ما يشد الانتباه عند دراسة الظواهر اللغوية هو تعاقبها في الزمن أمر لا وجود له بالنسبة إلى المتكلم، فالمتكلم يجد نفسه دائما تجاه حالة لغوية ما ولذلك يجب على الألسني الذي يريد أن يدرك حقيقة هذه الحالة اللغوية أن يضرب صفحا عن جميع الأمور التي أحدثتها؛ أي تجاهل الزمانية وهو لا يستطيع أن يدرك ما في أذهان المتكلمين إلا إذا ألغى الماضي >>[34] (دي سوسير، 1985). فالدراسة الآنية التي قام عليها منهج الدرس اللساني الحديث تتخذ من الذات المتكلمة معيارا للبحث والتنقيب في أغوار النفس اللسانية

يعود الناشران دون وعي منهما للتناقض الذي يقيمانه بين صفحات النشرة، فالفكر الواعي واللمسة الإبداعية الفردية لفاعل الكلام حاضرة بقوة في باب القياس، الذي هو في الأصل نشاط فردي بامتياز خاضع لإرادة الفرد المتكلم وحريته متعلق بتدخله المباشر أو غير المباشر في قواعد لسانه[35] (غلفان، 2017). فالقياس قائم على إدراك الفرد بلسانه ووعيه التام بوجود علاقات منطقية تجمع الصيغ فيما بينها، يقوم على استحداث صيغة جديدة انطلاقا من إحداث تغييرات في الصيغة القديمة، كما أن عملية الخلق والابتكار التي يوفرها عنصر القياس للنظام اللساني، قائمة في الأساس على وعي المتكلم بنسق لسانه وذكائه وقدرته الفريدة على استحداث علامات جديدة من رحم صيغ قديمة.

بالإضافة إلا أن ثنائياته القائمة على محور التركيب ومحور الاستبدال تنهض في الأساس على وعي الفرد المتكلم، ففي المحور الاستبدالي يقوم بعملية استحضار العلامات اللسانية التي تربط بينها أواصر المعنى المشترك أو الصيغة، وذلك بما يوفره له كنزه اللساني فيقوم في هذا المحور العمودي بانتقاء اللفظ المناسب الذي يوصل مقصده في أوضح صورة و أعمق دلالة، وهي عملية ذهنية بحتة، أما في العملية التركيبية يستند الفرد المتكلم إلى القوانين التي تضبط الاستعمال اللساني، ويقوم وفق منوال هذه القوانين بنسج عباراته وفقا لأسلوبه الخاص وقدراته اللسانية.

يتضح مما سبق أن سوسير لم يعتبر الفرد المتكلم مجرد متلق سالب، مجرد الإرادة أمام نظامه اللساني بل هو الأصل الوحيد والحقيقي المفعل للنسق اللساني، فقد طبع الحقبة التي عاش فيها أستاذ جنيف

الاهتمام بالنزعة الاجتماعية على حساب الفرد، ربما فهم بالي (Bally)وزميله أن أستاذهما لم يخرج عن هذا النهج الذي سلكه علماء عصره، فأهملا الكلام الذي يمثل الدائرة الأكثر فردية من مشروعه اللساني وأهتما باللسان باعتباره يمثل الذات الاجتماعية، وقد ذهبت جل المدارس اللسانية إلى تأكيد تأثر أستاذ جنيف في كثير من قضاياه اللسانية بعالم الاجتماع دور كايم الذي أسس مدرسته على الظاهرة الاجتماعية.

خاتمة:

بينت دراستنا نظرة سوسير للسانيات الكلام، فهو لم يعتبرها مجرد عنصر فرعي ثانوي في الحقل اللساني، بل ظل يؤكد في مواضع كثيرة من(نشرة1916م) والمصادر الأصول على مكانة لسانيات الكلام في نظريته، ودور الفرد المتكلم وكل ما يتصل بآليات العملية الكلامية.وقد سعينا في هذا البحث لإعادة الاعتبار للسانيات الكلام وإنزالها المنزلة الحقيقية من فكر صاحبها، باعتبارها بمثابة الجسد من روح الدرس اللساني، فالمستعمل العادي لنظام لسانه لا يمسك بهذا النسق اللساني ولا يرتسم أمام ناظريه إلا الكلام أما المخزون الذهني والقوانين التي يلزم بها النظام اللساني مستعمليه عملية مجردة في أغلب الأحيان لدى المستعمل العامي، باستثناء الدارس المتخصص في سلك هذا العلم .

قائمة المصادر والمراجع:

* المصادر الأصول:هي المنشورات التي قام اللسانيون بإعادة تحقيق أفكارها ونشرها، بالاعتماد على محاضرات الطلبة والمخطوطات السوسيرية المكتشفة سنة 1996م في مشتل البرتقال ، والتي تم إيداعها بمكتبتي جنيف وهارفارد، وتم تحقيق ونشر وترجمة الكثير منها، وأهمها مخطوط كتاب سوسير في اللسانيات العامة ، الذي حققه سيمون بوكيه و رودلف أنغلر ، ونشر ضمن السلسلة الفلسفية لدار غليمار، سنة 2002 ، فكتاب (محاضرات في اللسانيات العامة)أو (نشرة 1916م) لم يعد يمثل المرجع الوحيد لقراءة فكر سوسير؛ حيث أصبحت مسالك القراءة ومنافذها متعددة .

يحي صلاح الدين. (2019). مخطوطات فرديناند دوسوسير وأثرها في تأسيس اللسانيات السوسيرية الجديدة. *مجلة استانبول ، 2* (2).

شيباني عبد القادر فهيم. (2018). أسرار التأليف" هكذا سمعنا المعلم في الكتاب :محاضرات في اللسانيات العامة". *مجلة أيقونات ، 6* (6).

غلفان مصطفى. (2017). *اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

دي سوسورفردينان. (1985). *علم اللغة العام*. (يوسف عزيز يوئيل، المترجمون) بغداد: دارآفاق عربية.

دي سوسيرفردينان. (1985). *دروس في الألسنية العامة*. (محمد الشاوش، و محمد عجينة، المترجمون) مصر، الدار العربية

دوبيكيرلويك. (2015). *فهم فردينان دوسوسور وفقا لمخطوطاته - مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات -*. (ريما بركة، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

جيلي محمد الزين. (ديسمبر, 2015). البينة المفاهيمية للخطاب السوسيري المعقود لبيان موضوع اللسانيات - دراسة حجاجية -. *مجلة حوليات*، *9* (2).

زواوي مختار. (2017). *دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات*. بيروت: دار الروافد الثقافية.

غلفان مصطفى. (فبراير, 2018). دروس في اللسانيات العامة (نشرة 1916) قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول. *مجلة أنساق* ، *2* (1).

أريفيه ميشال. (2000). *البحث عن فردينان دو سوسير*. (محمد خير محمود البقاعي، المترجمون) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

.